الشعر على اللسان النبوى

للسيد جلال الحنفى

الذى لا زلنا نسمعه ونقرأه بحيث بات من البديهيات التى لا يُتجادل فيها ، وأصبح من غير المحمود الخروج عليه : أن الشعر لم يكن يلتئم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم . ويقال إن النبى أنشد قول طرفة المشهور على هذا الشكل :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك من لم تزوّد بالأخبار

فقيل له : ليس البيت كذلك يارسول الله ، وإنما هو هكذا :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

فرجع صلى الله عليه وسلم منشداً للبيت كما أنشده من قبل ، ولم يتمكن من إنشاده بلفظه

وإنى لأعجب منتهى العجب كيف يسوغ لأحد أن يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المرّ الذى ينقص أى امرئ إذا نسب إليه ، وناهيك بالنبى وهو أفصح من نطق بالضاد ، وصاحب الكلم الجوامع

ولا أريد هنا أن أدلى بالنصوص التى يعلم منها أن النبى رغب فى الشعر وحث عليه وافتخر ببعض رجاله ، ودرج على ذلك بقية من أصحابه ، وإنما أعرض هنا طائفة من المواطن التى تقيم الحجة على أن ما يسند إلى الرسول غير صحيح ، وأنه أنشد بضعة أبيات فى أحوال متعددة من دون أن يخرجها عن سننها

فلقد أنشد صلى الله عليه وسلم فى حفر الخندق من شعر عبد الله بن رواحة :

هذا الجمال لا جمال خيبرْ هذا أبرُّ ربّنا وأطهرْ

ولكن ابن شهاب الزهرى قال تعليقاً على هذا تخلصاً من الحجة التى تقع على القاعدة الموضوعة فى هذا الأمر ، قال :

« ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت »

والحقيقة أيضاً خلاف هذا إذ أنه صلى الله عليه وسلم أنشد فى حفر الخندق أيضاً لابن رواحة على ما رواه البخارى ومسلم والمؤرخون[1] :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وأنشد رسول الله يوم الخندق أيضاً[2] :

بسم الإله وبه هدينا ولو عبدنا غيره شقينا
يا حبذا ربا وحب دينا

وأنشد عليه الصلاة والسلام لأمية[3] :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

وأنشد فيها أنشد[4] :

أتيناكم أتيناكم لحيّونا نحييكم
ولولا الذهب الأحـ ـمر ما حلت نواديكم
ولولا الحبة السمرا ء لم تسمن عذاريكم

وكان صلوات الله عليه كثيراً ما ينشد لمنترة :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل

وينشد للبيد :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وإنى لأخجل فى تحقيق مثل هذا الأمر والدفاع عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما علقوه به من هذا العجز عن النطق بالبيت على وزنه من حيث لا حكمة هنالك ، ولولا أن تكون هذه المسألة ضاربة أطنابها بين المعتقدات لما أسلكت قلمى فى سبيل نقدها

(بغداد)

جلال الحنفى
خطيب جامع عطاء

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤ : ٩٦)
(٢) البداية والنهاية (٤ : ٩٧)
(٣) خزانة الأدب للبغدادى (١ : ١٢٠)
(٤) نقد العلم والعلماء لابن الجوزى (ص : ٢٤)